الفصل الرابع

بلند الحيدري

شاعر الغربة

بلند الحيدري:

ولد في بغداد في ١٤/ أيلول/١٩٢٦م واجتاز مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة، عمل في أواسط الأربعينات في الصحافة، ثم ما لبث أن دخل السلك الوظيفي، بعدها هاجر إلى بيروت وعمل هناك في سلك التدريس وكان هذا في سنة ١٩٦٣م تُوفي الشاعر الرائد بلند الحيدري في ٦/آب/١٩٩٦ بعد أن عاش غربتين غربة داخل النفس وغربة داخل المجتمع. له نشاطات ثقافية عديدة منها :

خفقة الطين ١٩٤٦

أغاني المدينة الميتة ١٩٥١

أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى ١٩٥٧

جئتم مع الفجر ١٩٦١

خطوات في الغربة ١٩٦٥

رحلة الحروف الصفر ١٩٦٧

أغاني الحارس المتعب ١٩٦٩

حوار عبر الأبعاد الثلاثة ١٩٧١

المجموعة الشعرية الكاملة ١٩٧٥

كتب وشخصيات

دراسات فنية

رسائل من بيروت ((وهذا آخر ما كتبه الشاعر وهو في غربته التي قضى نحبه فيها،وهي مدينة لندن عام ١٩٩٦ م))

وله عدة نشاطات أخرى ورسائل بينه وبين أدباء وشعراء عرب وأجانب، رحم الله شاعر الغربة !!

الشاعر الرائد في غربته:

لقد عانق الحيدري منذ فتوته الغربة، فكان رافضاً للحياة البرجوازية واختار الحياة البسيطة على الرفاه يوم ذاك مع عائلته الميسورة نوعاً ما، فكان يجوب المحلات البعيدة وينام في الأماكن الموبوءة بالفقر وتحت الجسور مع رفاقه الذين أحبهم وأحبوه، فكان إذ ذاك يهوى العيش بصمت، يفتش في بطون الكتب في المكتبات، ويقرأ للشعراء والأدباء والفلاسفة، فكان دائماً لا يرتوي من البحث والتنقيب في الثقافة والتحري عن المثقفين، كان يمشي ويمشي وقد وضع الحكمة الصوفية أمام ناظريه ((فمن تلفت لم يصل)) .

يريد أن لا يلتفت إلى الوراء، ليرى كم من المسافة قطع، وكم بقي منها، إنه لا يريد هذا التحديد ولا يؤمن بالتوقف، فكان كما أراد درويشاً للشعر يحمل همومه فوق ظهره ويجوب المناطق والبلدان بحثاً عن الثقافة والأرض الطيبة التي يستطيع نشر رسالته الإنسانية فيها ويجد من يسمعه هناك، فكان حقاً شاعر الغربة؛ لأنه عاش وتحمل حياة الغربة حتى مات فيها وخلد الغربة بوفاته !

تأثر الحيدري بكثير من الشعراء الذين عاصرهم وكتب عنهم وكتبوا عنه أمثال : الشاعر بدر شاكر السياب، والبياتي، وجبرا إبراهيم جبرا، وعمر أبو ريشة، وإيليا أبي ماضي، وإلياس أبي شبكة وسواهم !

فكان حقاً مثالاً للسفير الذي يحمل على عاتقه القصيدة الشعرية العراقية وما تحمله من معاناة وبؤس وشقاء، ورفض للقيم الإمبريالية والتسلط والظلم .

كيف لا وهو أحد عمالقة التجديد الأربعة ((بدر والبياتي ونازك)) وله المشاركة الفعلية بذلك، فهو إذن يستجلي هذا الوضع الفاسد الذي يعيشه شعبه ويعبر عنه، ليرفعه في شعره إلى ديار الغربة التي يعيشها هو ليطلع عليها أدباء ومثقفو العالم الآخر !

فكانت قصائده في دواوينه الأولى تحمل بذرة الشعر المتفتحة من جهة، وشرارة الثورة على الوضع الفاسد من جهة أخرى، حيث إن معظم قصائده في دواوينه ((خفقة الطين، أغاني المدينة الميتة وغيرها)) تتأرجح بين الوعي الذي يمثل الكآبة والحزن الذي يعيشه مع شعبه، وبين ما يؤكده من الحياة المعتزلة عن الحضارة والوعي والتقدم!

فكان لا يفتر أن يوضح أمره ويرسم رسالته لغيره بصوت كئيب مشرد، يبكي مصيره المبعد عن أهله ووطنه !

((**ما مصيري ..**

غير الهوى المسعور

في جذوري ،

غير الهوى النابض في

جذوري ،

أعمى بلا حلم

بلا طريق !))

وتوالت كتابات الحيدري فكانت حقاً مثالاً للصوت الهادر الذي يعبر عن صوت الثائر الرافض للحياة التعيسة التي يعيشها شعبه وأمته، لأنه يعي بصورة واضحة ودقيقة بأنه يشعر بمسؤولية تجاه ما يراه في هذه الحياة ولا بد من أن يعبر عنها ويفضحها بشعره أمام الأشهاد !

وهذه حقاً رسالة كل أديب وشاعر، رفض القيم الانتهازية والدكتاتورية المتسلطة على رقاب الشعب المظلوم !!

فكانت كل دواوينه تعتبر صرخة عالية مدوية بوجه الظالمين والمتسلطين في العراق بصورة خاصة والعالم بصورة عامة، فكان كما يقول حيث يعتبر حارساً للوطن والأمة،

يستحثها على عدم النوم والسهر على حراسة هذا الشعب حراسة دقيقة وواعية حـــتى لا تمر دسائس المتهاونين بحقوقه :

((أعرف كم أنت متعب أيها الحارس ،

أعرف كم أنت حزين

أيها الحارس،

وإن الفجر الذي تنتظر

ما زال بعيداً ،

ولكن حذار من أن تنام ،

فالشوارع المضاءة بآلاف

المصابيح ،

ما زالت ملأى بالجريمة

والزيف والخداع ،

وعليك أن ترصد كل شيء ،

بكثير من الحذر ،

لك أن تغني أغانيك الحزينة

طوال الليل ،

ولكن إياك أن تنسى ،

إنك مسؤول عن كل

هذا العصر))

فهو يرى أنه مسؤول مسؤولية مباشرة عن هذا العصر وما يمليه عليه واجبه أن يبقى يقظاً ساهراً على حياة غيره من أبناء شعبة وأمته

مفهوم الاغتراب عند الحيدري:

لو تأملنا إلى حد التعمق بتفاصيل المقاطع الشعرية في نصوص الشاعر المغترب (بلند الحيدري) يتبادر إلى ذهن القارئ والمتتبع الجيد (الفطن) تلك لحالات الإنسانية العميقة التي يدخل فيها الشعور بالغربة وابتعاد الروح فيها بتهاويم الانفصال الروحي عن البيئة التي تعد سبباً في إغترابه وانحسار العلاقات الصميمية مع غيره، فهو إذن بهذا الإحساس والشعور مازج قول الكثير من الفلاسفة والكتاب ((كهيجل)) الذي دعا إلى الاغتراب الروحي وعده من الحالات السلبية، لما فيه من عزلة الإنسان عن الواقع الذي يراه في المجتمع الذي يعيش فيه !

إلا أن عند البعض من الحكماء يعتبر سبباً أساسياً في الإبداع، لما فيه من صراعات يولدها الاغتراب مع النفس، وبالتالي يولد الإبداع !

وهذا ما أكده ((سيجموند فرويد)) في بعض تحليلاته العلمية عن الاغتراب :

((**إن الصراع يولد الإبداع**)) [1]

وهذا ما نلمسه ونحن نبحث في قصائد الشاعر التي تمثل انعكاسة فريدة ومهمة في ثورته الشعرية، لما لهذا التأثير والقلق الذي يولده الاغتراب لديه، وبالتالي الإبداع الذي تجسدت به قصائده !

وهذا أيضاً ما أكدت عليه جميع الدراسات التي كتبت عن الاغتراب وما يحدثه من أزمات نفسية لدى المغترب، والتي تشكل أحد الروافد المهمة في إبداعه المتميز لما يحدثه من صدمة في النفس، تحول فيض الإنسان من حالة الركود إلى حالة الغليان، وبالتالي الإبداع

---

١ - سيموند فرويد (التحليل النفسي)

الذي يرسم من خلاله الحيدري هذه المقاطع الشعرية المبدعة والجياشة بهذا الإحساس الذي يعبر عن الغربة والاغتراب بأدق تفاصيله !

والتي تبين لنا التداخل النفسي والإنساني في ثقافته وشخصيته .

لهذا نجد مجمل قصائده مشبعة بروحه الهائمة والمتعلقة بواقع وطنه وأمته، لما فيها من اندماج روحي مع الحس الذاتي، ذلك الحس الذي يشعر بالاغتراب وما له من تأثير في النفس البشرية المشبعة بالإحساس :

((أيها التائه في وديانا ،

ضل مسراك فلا شيء هنا ،

أنا إنسان كباقي الناس ،

ولكن ويح نفسي ..

أي إنسان تراني ..

ليس لي ماضي ،

ومالي غير يوم على سوء

أغاني وغدي))

وهنا وضوح تام عن برهنة الشاعر ورسمه المسار الذي هو فيه، وما يعانيه من جراء الغربة وما تمليه عليه من شقاء وعذاب :

((أنا إنسان .. ولكن أي إنسان تراني ..))

نعم إنك مفعمٌ بالشوق إلى أهلك ووطنك تلقي بك الغربة إلى أقصى حالات الدلالة التي تظهر فيها تائهاً وغريباً ومشرداً، ليس لك وطنٌ كباقي خلق الله !!

فمحنة الاغتراب لدى الحيدري ولّدت فيه أزمة انفصال في ذاته وابتعاده عما يراه في غربته من واقع مر، يعصف بروحه الهائمة إلى خلجات الشوق والهيام التي تجعل إحساسه

الشريد بالغربة والغوص في تفاصيلها ورسم صورها المبدعة التي شكلت بالتـــالي نقطـــة مضيئة في شعريته، ليصبح أحد رموز الشعر العراقي والعربي الحديث في خضم التحولات والصراعات الشكلية التي يمر بها الشعر العربي !